(صحبة الصديق أبي بكر في القرآن ودرء شبهات الرافضة ودحض مفترياتهم حولها)
دراسة تحليلية نقدية

بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي(الصحابة والسنة النبوية)
الأردن- عمان- جامعة العلوم الإسلامية العالمية- كلية الدعوة وأصول الدين.

من الدكتور فتحي محمد الزغبي
أستاذ العقيدة بجامعة الشارقة

تشرين الأول ٢٠١٢ م٢2 – 20

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام علي رسول الله ، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فإن هذا البحث يدخل ضمن موضوعات المحور الأول بشقيه (الشبهات والافتراءات علي الصحابة) (موقف الفرق الإسلامية من الصحابة) ، حيث يدور حول بيان مكانة الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، ومنزلته الشريفة ، وذلك بإثبات صحبته والنص عليها في القرآن الكريم ، حيث يقول تعالي (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) وبيان ما تضمنته هذه الصحبة الكريمة للنبي صلي الله عليه وسلم من فضائل للصديق الأكبر، وما لحقته من بركات المعية في قوله تعالي(إن الله معنا) ، هذا في مبحثه الأول

أما في المبحث الثاني ، فإنه يقوم بدرء شبهات الرافضة ودحض مفترياتهم حول هذه الصحبة ، وذلك بعرض هذه المفتريات ، وتلك الشبهات من خلال الرجوع إلي كتبهم ونصوصهم مثل كتاب (منهاج الكرامة لابن المطهر) ، وبعض تفاسيرهم ، والقيام بتحليلها ، ومناقشتها ، ونقدها ، والرد عليها ردا علميا موضوعيا ، مستعينا بمناقشات علماء السنة لعلمائهم قديما وحديثا ،

فجاءت الدراسة تحليلية نقدية ، حيث استخدمت المنهج التحليلي النقدي ، واعتمدت عليه في كتابة هذا البحث ، ولا أستطيع أن أزعم أن ما جئت به ، وتوصلت إليه جديد كل الجدة ، فقد خاض القدماء والمحدثون من المفسرين وعلماء العقيدة في هذا الموضوع من خلال تفاسيرهم ومؤلفاتهم ، أذكر منهم مثلا الفخر الرازي في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) ، وابن تيمية في رده علي ابن المطهر الرافضي ، ومناقشته المستفيضة له ، من خلال كتابه الموسوعي (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) ، والآلوسي في تفسيره (روح المعاني) ، الذي كان مجاورا للشيعة في العراق ، فاختلط بعلمائهم ، وناظرهم وناقشهم ،

إلا أنه لم يثبت – حسب علمي – أن أحدا منهم ، أو غيرهم ، قد خصص لهذا الموضوع بحثا أو كتابا مستقلا بذاته ، فجمعت ما فرقوه ، وحررت ما ينبغي تحريره ، وحققت ما يحتاج للتحقيق ، وأفردت لصحبة الصديق الأعظم في القرآن الكريم هذا البحث ، وقمت بالرد علي شبهات الرافضة ، ونقض مفترياتهم ، ودحض أكاذيبهم حول هذه الصحبة الكريمة ،

فجاء البحث جديدا في اسمه وعنوانه ، وفريدا في خطته وبنيانه ،
حيث اشتمل علي مقدمة ومبحثين وخاتمة
المقدمة : تحديد مشكلة البحث ومنهج البحث والدراسات السابقة وخطة البحث
فأما المبحث الأول فهو بعنوان : (صحبة الصديق أبي بكر في القرآن)
واشتمل علي أربعة مطالب :

المطلب الأول : فضائل الصديق وأفضليته من خلال آية التوبة (إلا تنصروه فقد نصره الله)

المطلب الثاني : وصف الصديق بقوله تعالي (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار) وتحقق هذا الوصف

المطلب الثالث : النص علي صحبة الصديق في القرآن (إذ يقول لصاحبه لا تحزن)

المطلب الرابع : بركات المعية التي لحقت بالصديق في قوله تعالي (إن الله معنا)

المبحث الثاني :
(درء شبهات الرافضة ونقض مفترياتهم حول صحبة الصديق في القرآن)
واشتمل علي خمسة مطالب :

المطلب الأول : عرض شبهات الرافضة ونقل مفترياتهم في إجمال

المطلب الثاني : درء شبهة في فهمهم لقوله تعالي (ثاني اثنين) (إذ هما في الغار)

المطلب الثالث : درء شبهة في فهمهم لقوله تعالي (إذ يقول لصاحبه)

المطلب الرابع : درء شبهة في ادعائهم أن حزن أبي بكر- من خلال قوله – (لا تحزن) يدل علي نقصه

المطلب الخامس : درء شبهة في فهمهم لقوله تعالي (إن الله معنا)

وقد توسعت في عرض الشبهات ونقدها ، وأكثرت من التعليقات والتعقيبات ، في المبحثين : الأول والثاني ، فتضخم البحث وتضاعفت صفحاته ، حتي تجاوزت الستين صحيفة ، فحذفت مطالب برمتها ، وحاولت الاختصار قدر الإمكان ، التزاما بقواعد وشروط اللجنة التحضيرية ،

وأسأل الله سبحانه التوفيق والرشاد ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ،
وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب

فتحي محمد الزغبي

المبحث الأول

(صحبة الصديق أبي بكر في القرآن)

المطلب الأول : فضائل الصديق وأفضليته من خلال آية التوبة(إلا تنصروه فقد نصره الله)

يذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى (إلا تنصروه) أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، كما قال الإمام أحمد بسنده عن أنس أن أبا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما أخرجاه في الصحيحين ، ولهذا قال تعالى (فأنزل الله سكينته عليه) أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول صلى الله عليه وسلم في أشهر القولين وقيل علي أبي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال (وأيده بجنود لم تروها) أي الملائكة وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله [١] ،

فقوله تعالى (إلا تنصروه) معناه إلا تعينوه بالنفر معه في غزوة تبوك ، حيث عاتبهم الله بعد انصراف نبيه عليه السلام من تبوك ، قال النقاش هذه أول آية نزلت من سورة براءة ، والمعنى إن تركتم نصره فالله يتكفل به إذ قد نصره الله في مواطن القلة وأظهره على عدوه بالغلبة والعزة وقيل فقد نصره الله بصاحبه في الغار بتأنيسه له وحمله على عنقه وبوفائه ووقايته له بنفسه ومواساته له بماله ، قال الليث بن سعد : ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق ، وقال سفيان بن عيينة خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله إلا تنصروه [٢]

---

[1] ابن كثير تفسيرالقرآن العظيم ج٢/ص٣٥٩ دار الفكر - بيروت – ١٤٠١

[٢] القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج٨/ص١٤٣ ١٦ - دار الشعب - القاهرة

واستدل بالآية – كما يقول الألوسي - على فضل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو لعمري مما يدع الرافضي في جحر ضب أو مهامه قفر ، فإنها خرجت مخرج العتاب للمؤمنين ما عدا أبا بكر رضي الله تعالى عنه ، فقد أخرج الحكيم الترمذي عن الحسن قال : عاتب الله تعالى جميع أهل الأرض غير أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال إلا تنصروه الخ وأخرج ابن عساكر عن علي كرم الله تعالى وجهه بلفظ (إن الله تعالى ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال إلا تنصروه الخ)

قال ابن عطية : بل خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك وإنما المعاتبة لمن تخلف فقط ، وهذه الآية منوهة بقدر أبي بكر وحاكمة بقدمه وسابقته في الإسلام ، وفي هذه الآية ترغيبهم في الجهاد ونصرة دين الله إذ بين فيها أنّ الله ينصره كما نصره إذ كان في الغار وليس معه فيه أحد سوى أبي بكر ، وروي أن أبا بكر الصديق قال يوما وهو على المنبر: أيكم يحفظ سورة التوبة ؟ فقال رجل : أنا ، فقال : اقرأ فقرأ فلما انتهى إلى قوله (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) بكى وقال أنا والله صاحبه ،

وفيها النص على صحبته رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولم يثبت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام سواه ، وكونه المراد من الصاحب مما وقع عليه الإجماع ككون المراد من العبد في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومن هنا قالوا إن إنكار صحبته كفر مع ما تضمنته من تسلية النبي عليه الصلاة والسلام بقوله لا تحزن وتعليل ذلك بمعية الله سبحانه الخاصة المفادة بقوله (إن الله معنا) ولم يثبت مثل ذلك في غيره بل لم يثبت نبي معية الله سبحانه له ولآخر من أصحابه ، وكأن في ذلك إشارة إلى أنه ليس فيهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي إنزال السكينة عليه بناء على عود الضمير إليه ما يفيد السكينة في أنه هو هو رضي الله تعالى عنه ولعن باغضيه وكذا في إنزالها على الرسول عليه الصلاة والسلام مع أن المنزعج صاحبه ما يرشد المنصف إلى أنهما كالشخص الواحد واظهر من ذلك إشارة ما ذكر إلى أن الحزن كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشهد لذلك ما جاء في حديث الشيخين[٣]

---

[٣]راجع الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج ١٠ص ٩٩ -١٠٠، وأبا حيان تفسير البحر المحيط ج٥/ص٤٥ دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى،وابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٣/ص٣٦ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى،

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة والصحبة الجميلة ، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم كافرا لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها ، فعن جميع بن عمير قال أتيت ابن عمر رضي الله عنه فسمعته يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض قال الحسين بن الفضل من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لإنكاره نص القرآن ، وليس ذلك لسائر الصحابة فإذا أنكر يكون مبتدعا لا كافرا [٤] ،

ويذكر ابن حزم أن من فضائل أبي بكر المشهورة قوله عز وجل (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في أنه أبو بكر فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في إخراجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنه خصه باسم الصحبة له وبأنه ثانيه في الغار ، وأعظم من ذلك كله أن الله معهما وهذا ما لا يلحقه فيه أحد [٥]،

ويذكر ابن تيمية أنه في المواضع التي لا يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم من أكابر الصحابة إلا واحد كان يكون هو ذلك الواحد مثل سفره في الهجرة ومقامه يوم بدر في العريش لم يكن معه فيه إلا أبو بكر ومثل خروجه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر ، وهذا الاختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما من كان جاهلا أحوال النبي صلى الله عليه وسلم أو كذابا فذلك يخاطب خطاب مثله ، وينتهي إلي أن قوله تعالى في القرآن (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) لا يختص بمصاحبته في الغار بل هو صاحبه المطلق الذي كمل في الصحبة كمالا لم يشركه فيه غيره فصار مختصا بالأكملية من الصحبة كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس اعرفوا لأبي بكر حقه فإنه لم يسؤني قط أيها الناس إني راض عن عمر وعثمان وعلي وفلان وفلان ، فقد تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه دون غيره مع أنه قد جعل غيره من أصحابه أيضا لكن خصه

---

[٤]راجع السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج١/ص٣٣٨ مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين و البغوي معالم التنزيل: ج٢/ص٢٩٣ دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك و النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج٢/ص٨٩: دار النفائس - بيروت تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار

[٥] راجع ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ ص ١١٣، دار النشر: مكتبة الخانجي – القاهرة

بكمال الصحبة ولهذا قال من قال من العلماء إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره [٦]

المطلب الثاني : وصف الصديق بقوله تعالي (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار) وتحقق هذا الوصف ،

قوله (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ) يعني قد نصره الله في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا من مكة ، وإسناد الإخراج إليهم إسناد إلى السبب البعيد فإن الله تعالى قد أذن له عليه الصلاة والسلام بالخروج حين كان منهم ما كان فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه لكن بإلجائهم إلى ذلك حتى فعله فنسب الفعل إليهم ورتب الحكم فيه عليهم ، وقوله تعالى (ثاني اثنين) أي أحد اثنين وهذا كثالث ثلاثة ورابع أربعة فإذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلاثة وخامس أربعة فالمعنى صير الثلاثة أربعة بنفسه والأربعة خمسة وهو منصوب على الحال أي أخرجوه منفردا من جميع الناس إلا من أبي بكر والعامل فيها نصره الله أي نصره منفردا ونصره أحد اثنين وقال علي بن سليمان التقدير فخرج ثاني اثنين مثل والله أنبتكم من الأرض نباتا ، (ثاني اثنين) حال من ضميره عليه الصلاة والسلام أي أحد اثنين من غير اعتبار كونه صلى الله تعالى عليه وسلم ثانيا ، فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقا ، لا الثالث والرابع خاصة ، (إذ هما في الغار) بدل من (إذ أخرجه) بدل البعض إذ المراد به زمان متسع فلا يتوهم التغاير المانع من البدلية وقيل إنه ظرف لثاني اثنين [٧]، ويذكر الرازي في قوله ثَانِيَ اثْنَيْنِ أنه نصب على الحال أي في الحال التي كان فيها ثَانِيَ اثْنَيْنِ وتحقيق القول فيه أنه إذا حضر اثنان فكل واحد منهما يكون ثانياً في ذينك الاثنين للآخر فلهذا السبب قالوا : يقال فلان ثاني اثنين أي هو أحدهما قال صاحب الكشاف ثَانِيَ اثْنَيْنِ أحد اثنين كقوله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّعْبِيرِ لَا يُعْتَبَرُ فِيهِ الْأَوَّلِيَّةُ وَلَا الْأَوْلَوِيَّةُ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا ثَانٍ لِلْآخَرِ ، وَمِثْلُهُ : ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَرَابِعُ أَرْبَعَةٍ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ بِهِ تَمَّ هَذَا الْعَدَدُ . عَلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ فِيهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ ، وَهُوَ لَا يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي ، وَلَا الثَّالِثِ أَوِ الرَّابِعِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ ، وجاء في حَدِيثِ الشَّيْخَيْنِ : " مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا " ؟ وهما رسول

---

[٦] ابن تيمية منهاج السنة النبوية ج٨/ص٤١٦ -٤١٧ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق: د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ ،

[٧] راجع المصدر السابق ج ١٦ ص ٥١ و القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٨/ص ١٤٣ ، والآلوسي : روح المعاني ج١٠/ص٩٧

الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه و (إ ذْ هُمَا) بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثاً إِذْ يَقُولُ بدل ثان وقيل : طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه و سلم[8] ،

قال طائفة من أهل العلم كأبي القاسم السهيلي وغيره في قوله تعالي (ثاني اثنين) أن هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبي بكر وكذلك قوله ما ظنك باثنين الله ثالثهما بل ظهر اختصاصهما في اللفظ كما ظهر في المعنى فكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله ، فلما تولى أبو بكر بعده صاروا يقولون وخليفة رسول الله فيضيفون الخليفة إلى رسول الله المضاف إلى الله والمضاف إلى المضاف مضاف تحقيقا لقوله (إن الله معنا) وقوله : ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ثم لما تولى عمر بعده صاروا يقولون أمير المؤمنين فانقطع الاختصاص الذي امتازه به أبو بكر عن سائر الصحابة ، وكانوا يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم انقطع هذا الاتصال اللفظي بموته [9] ، فقد اجتمع المهاجرون يتشاورون فقالوا انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر فقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال عمر رضي الله عنه من له مثل هذه الثلاث ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا من هما قال ثم بسط يده فبايعه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة ، ولهذا يذكر القرطبي أن بعض العلماء قال في قوله تعالى (ثاني اثنين إذ هما في الغار) ما يدل على أن الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانيا ، وسمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر يقول إنما استحق الصديق أن يقال له ثاني اثنين لقيامه بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر كقيام النبي صلى الله عليه وسلم به أولا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدت العرب كلها ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة ومكة وجواثا (في الإحساء) فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ويقاتلهم علي الدخول في الدين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه ثاني اثنين ، ويعقب القرطبي بقوله (وقد جاء في السنة أحاديث صحيحة يدل ظاهرها على أنه الخليفة بعده وقد انعقد الإجماع على ذلك ولم يبق منهم مخالف والقادح في خلافته مقطوع بخطئه وتفسيقه وهل يكفر أم لا

---

[8] الفخر الرازي : التفسير الكبير ج١٦/ص٥١ الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٢/ص٢٥٩ دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي و رشيد رضا تفسير المنار ج ١٠ ص ٣٦٩

[9] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٨/ص٣٨٢

يختلف فيه والأظهر تكفيره ، والذي يقطع به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة ، ويجب أن تؤمن به القلوب والأفئدة فضل الصديق على جميع الصحابة ، ولا مبالاة بأقوال أهل الشيع ولا أهل البدع فإنهم بين مكفر تضرب رقبته وبين مبتدع مفسق لا تقبل كلمته [١٠] ،

ويري الفخر الرازي أنه تعالى سماه ثَانِيَ اثْنَيْنِ فجعل ثاني محمد عليه السلام حال كونهما في الغار ، والعلماء أثبتوا أنه رضي الله عنه كان ثاني محمد في أكثر المناصب الدينية فإنه صلى الله عليه وسلم لما أرسل إلى الخلق وعرض الإسلام على أبي بكر آمن أبو بكر ثم ذهب وعرض الإسلام على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة رضي الله تعالى عنهم والكل آمنوا على يديه ، ثم إنه جاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أيام قلائل فكان هو رضي الله عنه ثَانِيَ اثْنَيْنِ في الدعوة إلى الله ، وأيضاً كلما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة كان أبو بكر رضي الله عنه يقف في خدمته ولا يفارقه فكان ثاني اثنين في مجلسه ، ولما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قام مقامه في إمامة الناس في الصلاة فكان ثاني اثنين ، ولما توفي دفن بجنبه فكان ثاني اثنين هناك أيضاً [١١] ،

المطلب الثالث :النص علي صحبة الصديق في القرآن (إذ يقول لصاحبه لا تحزن)

قوله تعالي :(إذ يقول) بدل ثان وقيل أول (لصاحبه) وهو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وقد أخرج الدارقطني وابن شاهين وابن مردويه وغيرهم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أنت صاحبي في الغار وأنت معي على الحوض وأخرج ابن عساكر من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأبي هريرة مثله وأخرج هو وابن عدي من طريق الزهري عن أنس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لحسان هل قلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع ، فقال حسان رضي الله تعالى عنه : وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت [١٢] ، ويذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى (إذ يقول لصاحبه لا تحزن

---

[١٠] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٨/ص١٤٧ -١٤٨

[١١] الفخر الرازي : التفسير الكبير ج١٦/ ص ٥٢

[١٢] الألوسي : روح المعاني ج١٠/ص٩٧ ويذكر الألوسي أنه لم يخالف في ذلك أحد حتى الشيعة فيما أعلم

إن الله معنا) أن هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رضي الله عنه ، حيث روى أصبغ وأبو زيد عن ابن القاسم عن مالك (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) هو الصديق قال فرأيت مالكا يرفع بأبي بكر جدا لهذه الآية ، قال القاضي رضي الله عنه فحق أن يرفع مالك أبا بكر بهذه الآية ففيها عدة فضائل مختصة لم تكن لغيره منها قوله إذ يقول لصاحبه فحقق له تعالى قوله له بكلامه ووصف الصحبة في كتابه متلوا إلى يوم القيامة ، ومنها قوله (إن الله معنا) وفي الحديث الصحيح أن النبي قال لأبي بكر في الغار يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وهذه مرتبة عظمى وفضيلة شماء لم يكن لبشر أن يخبر عن الله سبحانه أنه ثالث اثنين أحدهما أبو بكر كما أنه قال مخبرا عن النبي وأبي بكر ثاني اثنين ،

قال بعض العلماء من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب مبتدع ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لأنه رد نص القرآن[١٣]،

وهذا يدل على أن صاحبه كان مشفقا عليه محبا له ناصرا له حيث حزن وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه وأما عدوه فلا يحزن إذا انعقد سبب هلاكه فلو كان أبو بكر مبغضا كما يقول المفترون لم يحزن ولم ينه عن الحزن بل كان يضمر الفرح والسرور ولا كان الرسول يقول له لا تحزن إن الله معنا [١٤]،

المطلب الرابع : بركات المعية التي لحقت بالصديق في قوله تعالي (إن الله معنا)

يقول تعالي : { إذ يقول } أي رسول الله صلى الله عليه وسلم { لصاحبه } أي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وثوقاً بربه غير منزعج من شيء { لا تحزن } والحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، ؛ ثم علل نهيه لصاحبه بقوله معبراً بالاسم الأعظم مستحضراً لجميع ما جمعه من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك بعظمتها شوامخ الجبال الصلاب { إن الله } أي الذي له الأمر كله { معنا } أي بالعون والنصرة، وهو كاف لكل مهم، قوي على دفع ملم، فالذي تولى نصره بالحراسة في ذلك الزمان كان قادراً على أن يأمر الجنود التي أيده بها أن تهلك الكفار في كل موطن من غير أن يكون لكم في ذلك أمر أو يحصل لكم به أخر، وكما أنه كان موجوداً في ذلك الزمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى هو على ذلك في هذا الزمان وكل زمان، فتبين كالشمس أن النفع في ذلك إنما هو خاص بكم، وأنه سبحانه ما

---

[١٣] القرطبي : الجامع ج٨/ص١٤٦ و ابن العربي : أحكام القرآن ج٢/ص٥١٢ دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق : محمد عبد القادر عطا

[١٤] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٨/ص٤٢٨

رتب هذا كله على هذا المنوال إلا لفوزكم، وفي هذه الآية من التنويه بمقدار الصديق وتقدمه وسابقته في الإسلام وعلو منصبه وفخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذي أعطاه إياه؛ قال أبو حيان وغيره: قال العلماء: من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه كفر لإنكاره كلام الله، وليس ذلك لسائر الصحابة[15]

فقوله تعالي (لا تحزن إن الله معنا) بالنصر والرعاية والحفظ والكلاءة ، وبالعصمة والمعونة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص (مع) بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الأمر المباشر ، وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ولذلك قالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله سبحانه وتعالى فهي إذن معية مخصوصة ، وإلا فهو تعالى مع كل واحد من خلقه، وقول النبي صلي الله عليه وسلم له (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) قال المحاسبي يعني معهما بالنصر والدفاع لا على معنى ما عم به الخلائق فقال (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فمعناه العموم أنه يسمع ويرى من الكفار والمؤمنين[16] ، وَمَنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى مَعَهُ بِعِزَّتِهِ الَّتِي لَا تُغْلَبُ وَقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تُقْهَرُ ، وَرَحْمَتِهِ الَّتِي قَامَ وَيَقُومُ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَلَّا يَسْتَسْلِمَ لِحُزْنٍ وَلَا خَوْفٍ ،

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمَعِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ أَعْلَى مِنْ مَعِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ فِي قَوْلِهِ : وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَعِيَّةَ فِي آيَةِ سُورَةِ النَّحْلِ لِجَمَاعَةِ الْمُتَّقِينَ الْمُجْتَنِبِينَ لِمَا يَجِبُ تَرْكُهُ وَالْمُحْسِنِينَ لِمَا يَجِبُ فِعْلُهُ ، فَهِيَ مُعَلَّلَةٌ بِوَصْفٍ مُشْتَقٍّ هُوَ مُقْتَضَى سُنَّةِ اللهِ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ لِكُلِّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْحُزْنِ قَبْلَهَا لِلرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَمَّا الْمَعِيَّةُ هُنَا فَهِيَ لِذَاتِ الرَّسُولِ وَذَاتِ صَاحِبِهِ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِوَصْفٍ هُوَ عَمَلٌ لَهَا بَلْ هِيَ خَاصَّةٌ بِرَسُولِهِ وَصَاحِبِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَاحِبُهُ ، مَكْفُولَةٌ بِالتَّأْيِيدِ بِالْآيَاتِ ، وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، وَكِبَرِ الْعِنَايَاتِ ، إِذْ لَيْسَ الْمَقَامُ بِمَقَامِ سُنَنِ اللهِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ ، الَّتِي يُوَفَّقُ لَهَا الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ الْمُتْقِنِينَ لِلْأَعْمَالِ . يُعْلَمُ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْحَقِّ الْوَاقِعِ إِنْ لَمْ يُعْلَمْ مِنَ اللَّفْظِ

---

[15] راجع برهان الدين البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج ص ٣١٩ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، و أبا حيان : تفسير البحر المحيط ج٥/ص٤٥٣٢٠

[16] القرطبي : الجامع ج٨/ص١٤٦ أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٤/ص٦٦ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

وَحْدَهُ ، وَهِيَ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ إِذْ أَرْسَلَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَأَظْهَرَا الْخَوْفَ مِنْ بَطْشِهِ بِهِمَا : قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ، وَقَدْ كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَكْمَلَ مِنْهُمَا إِذْ لَمْ يَخَفْ مِنْ قَوْمِهِ الْخَارِجِينَ فِي طَلَبِهِ لِلْفَتْكِ بِهِ ، وَكَانَ لِلصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ بِهِمَا إِذْ خَافَ عَلَى خَلِيلِهِ وَصَفِيِّهِ الَّذِي شَرَّفَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْفَذِّ بِصُحْبَتِهِ ، وَإِنَّمَا نَهَاهُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَنِ الْحُزْنِ لَا عَنِ الْخَوْفِ ، وَنَهَى اللهُ مُوسَى وَهَارُونَ عَنِ الْخَوْفِ لَا عَنِ الْحُزْنِ ؛ لِأَنَّ الْحُزْنَ تَأَلُّمُ النَّفْسِ مِنْ أَمْرٍ وَاقِعٍ ، وَقَدْ كَانَ نَهْيُهُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِيَّاهُ عَنْهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَدْرَكَ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ الْغَارَ بِالْفِعْلِ . رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمِهِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا " ؟ وَأَمَّا الْخَوْفُ فَهُوَ انْفِعَالُ النَّفْسِ مِنْ أَمْرٍ مُتَوَقَّعٍ ، وَقَدْ نَهَى اللهُ رَسُولَيْهِ عَنْهُ قَبْلَ وُقُوعِ سَبَبِهِ وَهُوَ لِقَاءُ فِرْعَوْنَ وَدَعْوَتُهُ إِلَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْحُزْنِ يَسْتَلْزِمُ النَّهْيَ عَنِ الْخَوْفِ ، وَقَدْ كَانَ الصِّدِّيقُ خَائِفًا وَحَزِنًا كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ ، وَهُوَ مُقْتَضَى طَبْعِ الْإِنْسَانِ ."[17]

ولوعقدنا مقارنة بين قول موسى صلى الله عليه وسلم لقومه (كلا إن معي ربي سيهدين)الشعراء وبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للصديق :(لا تحزن إن الله معنا) فلما كان الله مع موسى وحده لم تلحق أصحابه بركات المعية (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم قالوا يا موسي اجعل لنا إلها كما آلهة) وارتد أصحابه بعده فرجع من عند ربه ووجدهم يعبدون العجل ، ولما قال في محمد صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا بقي أبو بكر مهتديا موحدا عالما جازما قائما بالأمر ولم يتطرق إليه اختلال [18]، فقد سكن الصديق ، ورأي المطاردين ، يطوفون بالغار في خبال ، ثم يرتدون عنده حياري وعميانا لم ينالوا شيئا ، تم له يومئذ إيمانه ، واستوي علي عرش اليقين يقينه ، ولكأنما اختاره الله لصحبة الرسول في الهجرة لتريه هذا المشهد ليبلغ الصديق من عظته البالغة كل ما تبقي له من حظوظ إيمانه ، جزاء وفاقا ، وكأسا دهاقا ، لن يظمأ بعدها أبدا إلي إيمان ويقين ، لقد بلغ إيمانه الذروة في لحظة الغار [19]،

بل ترقي الصديق في إيمانه من خلال قيامه بالتخفيف عن النبي صلي الله عليه وسلم في غزوة بدر الكبري ، وثباته معه في صلح الحديبية ، وثباته وتثبيته للناس بعد وفاة النبي

---

[17] رشيد رضا : تفسير المنار ج ١٠ ص ٣٦٩ - ٣٧٠

[18] راجع ابن العربي: أحكام القرآن ج٢/ص٥١٣

[19] راجع تفصيل ذلك خالد محمد خالد : خلفاء الرسول ص ٦١ دار المقطم للنشر والتوزيع القاهرة ١٤١٥ ه -١٩٩٤ م

صلي الله عليه وسلم ، وثباته في مواجهة المرتدين حتي قال ابن مسعود (لقد قمنا بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن من الله علينا بأبي بكر) فقد نقل الحافظ البيهقي بسنده أن عائشة أخبرته أن أبا بكر اقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله وهو مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله لا يجمع عليك موتتين أبدا الموتة الأولى كتبت عليك فقدمتها قال الزهري وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فتشهد أبو بكر فاقبل الناس إليه فقال أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية قال الزهري وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله قد مات ورواه البخاري عن يحيى ابن بكير [٢٠]

ويذكر ابن حزم أنه قد دري القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الإسلام إذ كفر من كفر من أهل الأرض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وإذ عن الجميع للبقية وقبول ما دعت اليه العرب حاشا أبا بكر فهل ثبت أحد ثبات أبي بكر على كلب العدو وشدة الخوف حتى دخلوا في الإسلام أفواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جموعهم ولا تضافرهم ولا قلة أهل الإسلام حتى أنار الله الإسلام وأظهره ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة ملكها حتى أخضع حدود فارس والروم وصرع جنودهم ونكس راياتهم وظهر الإسلام في أقطار الأرض وذل الكفر وأهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم وصاروا أخوة لا اختلاف بينهم وقرؤا القرآن وتفقهوا في الدين إلا أبو بكر ، فهو الذي فاز بالقدح المعلى والمسبق المبرز والحظ الأسني في العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشية والصدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم [٢١]

المبحث الثاني :

[٢٠] راجع ابن كثير : البداية والنهاية ج٥/ص٢٤٢ مكتبة المعارف - بيروت
[٢١] ابن حزم : الفصل في الملل ج٤/ص١١٢ - ١١٣

(درء شبهات الرافضة ونقض مفترياتهم حول صحبة الصديق في القرآن)

ويشتمل علي خمسة مطالب :

المطلب الأول : عرض شبهات الرافضة ونقل مفترياتهم في إجمال :

سبق أن ذكرت أنه قد استدل بالآية على فضل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو لعمري مما يدع الرافضي في جحر ضب أو مهامه قفر فإنها خرجت مخرج العتاب للمؤمنين ما عدا أبا بكر رضي الله تعالى عنه ، لكن العجيب أن الرافضة قد أنكروا دلالة الآية على شيء من الفضل في حق الصديق رضي الله تعالى عنه فقالوا – علي سبيل الإجمال - إن الدال على الفضل إن كان (ثاني اثنين) فليس فيه أكثر من كون أبي بكر متما للعدد وإن كان (إذ هما في الغار) فلا يدل على أكثر من اجتماع شخصين في مكان وكثيرا ما يجتمع فيه الصالح والطالح وإن كان (لصاحبه) فالصحبة تكون بين المؤمن والكافر كما في قوله تعالى (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك) وقوله سبحانه (وما صاحبكم بمجنون) و (يا صاحبي السجن) بل قد تكون بين من يعقل وغيره كقوله إن الحمار مع الحمير مطية وإذا خلوت به فبئس الصاحب وإن كان (لا تحزن) فيقال : لا يخلو إما أن يكون الحزن طاعة أو معصية لا جائز أن يكون طاعة وإلا لما نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فتعين أن يكون معصية لمكان النهي وذلك مثبت خلاف مقصودكم على أن فيه من الدلالة على الجبن ما فيه ، وإن كان (إن الله معنا) فيحتمل أن يكون المراد إثبات معية الله تعالى الخاصة له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده لكن أتى ب (نا) سدا لباب الإيحاش ونظير ذلك الإتيان بأوفى قوله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) وإن كان (فأنزل الله سكينته عليه) فالضمير فيه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يلزم تفكيك الضمائر وحينئذ يكون في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالسكينة هنا مع عدم التخصيص في قوله سبحانه (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) إشارة إلى ضد ما ادعيتموه ، وإن كان ما دلت عليه الآية من خروجه مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الوقت فهو عليه الصلاة والسلام لم يخرجه معه إلا حذرا من كيده لو بقي مع المشركين بمكة ، وفي كون المجهز لهم بشراء الإبل عليا كرم الله تعالى وجهه إشارة لذلك ، وإن كان شيئا وراء ذلك فبينوه لنتكلم عليه انتهى كلامهم ، ولعمري – كما يقول العلامة الألوسي - إنه أشبه بهذيان المحموم أو عربدة السكران ولولا أن الله سبحانه حكى في كتابه الجليل عن إخوانهم اليهود والنصارى ما

هو مثل ذلك ورده رحمة بضعفاء المؤمنين ما كنا نفتح في رده فما أو نجري في ميدان تزييفه قلما[٢٢]

ويذكر الفخر الرازي أن الروافض احتجوا بهذه الآية وبهذه الواقعة على الطعن في أبي بكر من وجوه ضعيفة حقيرة جارية مجرى إخفاء الشمس بكف من الطين فالأول قالوا إنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي بكر لا تحزن فذلك الحزن إن كان حقاً فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه وإن كان خطأ لزم أن يكون أبو بكر مذنباً وعاصياً في ذلك الحزن والثاني قالوا يحتمل أن يقال إنه استخلصه لنفسه لأنه كان يخاف منه أنه لو تركه في مكة أن يدل الكفار عليه وأن يوقفهم على أسراره ومعانيه فأخذه مع نفسه دفعاً لهذا الشر والثالث وإن دلت هذه الحالة على فضل أبي بكر إلا أنه أمر علياً بأن يضطجع على فراشه ومعلوم أن الاضطجاع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل تلك الليلة الظلماء مع كون الكفار قاصدين قتل رسول الله تعريض النفس للفداء فهذا العمل من علي أعلى وأعظم من كون أبي بكر صاحباً للرسول فهذه جملة ما ذكروه في ذلك الباب[٢٣]

وينقل ابن تيمية عن ابن المطهر في هذا الشأن فيقول : قال الرافضي : ما ورد فيه من الفضائل كآية الغار وكان أنيس رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش يوم بدر وأنفق على النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم في الصلاة ، قال والجواب أنه لا فضيلة له في الغار لجواز أن يستصحبه حذرا منه لئلا يظهر أمره ، وأيضا فإن الآية تدل على نقيضه لقوله لا تحزن فإنه يدل على خوره وقله صبره وعدم يقينه بالله تعالى وعدم رضا بمساواته النبي صلى الله عليه وسلم وبقضاء الله وقدره ولأن الحزن إن كان طاعة استحال أن ينهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان معصية كان ما ادعوه من الفضيلة رذيلة [٢٤] ، وأيضا فإن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله شرك معه المؤمنين إلا في هذا الموضع ولا نقص أعظم منه ، ....قال الرافضي فهذه حال أدلة القوم فلينظر العاقل بعين الإنصاف وليقصد اتباع الحق دون اتباع الهوى ويترك تقليد الآباء والأجداد فقد نهى الله تعالى في كتابه عن ذلك ولا تلهيه الدنيا عن إيصال الحق إلى مستحقه ولا يمنح المستحق عن حقه فهذا آخر ما أردنا إثباته في هذه المقدمة

---

[٢٢] الألوسي : روح المعاني ج١٠/ص١٠٠-١٠١

[٢٣] الفخر الرازي : التفسير الكبير ج١٦/ص٥٥

[٢٤] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٨/ص٣٦٤ -٣٦٥

والجواب أن يقال في هذا الكلام من الأكاذيب والبهت والفرية ما لا يعرف مثله لطائفة من طوائف المسلمين ولا ريب أن الرافضة فيهم شبه قوى من اليهود فإنهم قوم بهت يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وظهور فضائل شيخي الإسلام أبي بكر وعمر أظهر بكثير عند كل عاقل من فضل غيرهما فيريد هؤلاء الرافضة قلب الحقائق ولهم نصيب من قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون سورة يونس ١٧ ونحو هذه الآيات ، فإن القوم من أعظم الفرق تكذيبا بالحق وتصديق بالكذب وليس في الأمة من يماثلهم في ذلك

أما قوله لا فضيلة في الغار ، فالجواب أن الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن لقوله تعالى إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا سورة التوبة ٤٠ فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله معه ومع صاحبه كما قال لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى سورة طه ٤٦ ، وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق فلم يختلف في ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن على معناه يقول إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا سورة التوبة ٤٠ [٢٥]

ولنذكر بعض ما ورد في تفاسير الشيعة، ونبدأ بكتاب (الصافى فى تفسير القرآن) (لملا محسن الكاشى)) ومؤلف هذا التفسير هو محمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المعروف بملا محسن، وبالفيض الكاشى، وأحد غلاة الإمامية الإثنا عشرية ، حيث قام بالطعن على أبى بكر مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية [٤٠] من سورة التوبة: {ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا}... الآية، نجده لا يعترف بهذه المنقبة لأبى بكر، رضى الله عنه، بل ويحاول بكل جهوده أن يأخذ منها مغمزاً على أبى بكر، وذلك حيث يقول ما نصه: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} وهو أبو بكر، {لاَ تَحْزَنْ} لا تخف، {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} بالعصمة والمعونة.. فى الكافى عن الباقر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول لأبى بكر فى الغار: اسكن فإن الله معنا، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله حاله قال له: تريد أن أريك أصحابى من الأنصار فى مجالسهم يتحدثون؟ وأريك جعفر وأصحابه فى البحر يغوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون،

---

[٢٥] راجع المصدر السابق ج٨/ص٣٦٦ ـ ٣٧٢

وإلى جعفر وأصحابه فى البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر، {فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ} أمنته التى تسكن إليها القلوب {عَلَيْهِ}.. فى الكافى عن الرضا: أنه قرأها: "على رسوله" قيل له: هكذا؟ قال: هكذا نقرؤها، وهكذا تنزيلها. والعياشى عنه: إنهم يحتجون علينا بقوله تعالى: {ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ} وما لهم فى ذلك من حُجَّة، فوالله لقد قال الله: "فأنزل الله سكينته على رسوله" وما ذكره فيها بخبر، قيل: هكذا تقرأونها؟ قال: هكذا قراءتها".[٢٦] ، وكذلك في تفسير القرآن (للسيد عبد الله العلوى) ومؤلف هذا التفسير هو السيد عبد الله بن محمد رضا، العلوى، الحسينى، الشهير بشبَّر، وُلِد بأرض النجف سنة ١١٨٨ هـ (ثمان وثمانين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية).. ثم ارتحل مع والده إلى الكاظمية ومكث بها إلى أن مات سنة ١٢٤٢ هـ (اثنتين وأربعين ومائتين بعد الألف من الهجرة). كان فى نظر أصحابه من أعيان الشيعة وفضلائهم، فقيهاً، محدِّثاً، مفسِّراً متبحراً، جامعاً لعلوم كثيرة، آية فى الأخلاق. تلقى العلم على والده، وعلى الإمام الكبير السيد محسن الأعرجى، وقد تتلمذ عليه خلق كثير، لأنهم كانوا يعتبرونه عَلَماً من أعلام الشيعة، وشخصية علمية بارزة لها مكانها ومقدارها ، حيث نلاحظ على المؤلف أنه يطعن على الصحابة ويرميهم بالكفر أو ما يقرب منه، ويجردهم من كل فضل نُسب إليهم فى القرآن تنقيصاً لهم، وحطاً من قدرهم. فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية [٤٠] من سورة التوبة: {ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا}... الآية، نجده يعرض عن تعيين هذا الذي صحب النبي صلى الله عليه وسلم فى هجرته، وهو أبو بكر، ثم يُصرِّح أو يُلمِّح بما ينقص من قدره، أو يذهب بفضله المنسوب إليه والمنوَّه به فى القرآن الكريم فيقول: {ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ} حال أى معه واحد لا غير، {إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ} نقب فى ثور، وهو جبل بقرب مكة، {إِذْ} بدل ثان، {يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} - ولا مدح فيه إذ قد يصحب المؤمن الكافر كما قال: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} - {لاَ تَحْزَنْ} فإنه خاف على نفسه وقُبض واضطرب حتى كاد أن يدل عليهما فنهاه عن ذلك، {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} عالم بنا. {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ...}.... إلى قوله. {إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ} : أى عالِم بهم. {فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} طمأنينته، {عَلَيْهِ} على الرسول. وفى إقرانه - صلى الله عليه وسلم - ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفى، وجعل "الهاء" لصاحبه ينفيه كونها للرسول قبل وبعد.. إلخ".[٢٧]

---

[٢٦] راجع الدكتور محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج ٢ص ٢٧٢ ، ٢٨٢ طبع ونشر مكتبة وهبة القاهرة

[٢٧] راجع المصدر السابق ج ٢ص ٢٩٢ ، ٢٩٥

وفي تفسير تفسير القرآن/ علي بن ابراهيم القمي (ت القرن ٤ هـ) قوله: { إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا } فإنه حدثني أبي عن بعض رجاله رفعه إلى أبي عبد الله قال لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار قال لفلان كأني أنظر إلى سفينة جعفر في أصحابه يقوم في البحر وأنظر إلى الأنصار محتسبين في أفنيتهم فقال فلان وتراهم يا رسول الله قال نعم قال فأرنيهم فمسح على عينيه فرآهم (فقال في نفسه الآن صدقت أنك ساحر ط) فقال له رسول الله أنت الصديق وقوله: { وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا } قول رسول الله صلى الله عليه وآله { والله عزيز حكيم }، وفي تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي/ الفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠ هـ) في الكافي عن الباقر عليه السلام أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أقبل يقول لأبي بكر في الغار اسكن فانّ الله معنا وقد أخذته الرّعدة وهو لا يسكن فلمّا رأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حاله قال له تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون وأريك جعفراً وأصحابه في البحر يغوصون قال نعم فمسحَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدّثون ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون فأضمر تلك الساعة أنّه ساحر { فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ } أمنته التي تسكن إليها القلوب { علَيْهِ }.في الكافي عن الرضا عليه السلام أنّه قرأها على رسوله قيل له هكذا نقرؤها وهكذا تنزيلها.والعياشي عنه عليه السلام أنّهم يحتجون علينا بقول الله تعالى { ثاني اثنين اذ هما في الغار } وما لهم في ذلكَ من حجّة فوالله لقد قال الله فأنزل الله سكينته على رسوله وما ذكره فيها بخير قيل هكذا تقرؤنها قال هكذا قرأتها[٢٨].

المطلب الثاني : درء شبهة في فهمهم لقوله تعالي (ثاني اثنين) (إذ هما في الغار)

أما علي سبيل التفصيل فقد أنكروا دلالة هذا القول الكريم علي شيئ من الفضل في حق الصديق رضي الله عنه ، حيث ذكروا أن الدال على الفضل إن كان (ثاني اثنين) فليس فيه أكثر من كون أبي بكر متما للعدد وإن كان (إذ هما في الغار) فلا يدل على أكثر من اجتماع شخصين في مكان وكثيرا ما يجتمع فيه الصالح والطالح حيث جاء مثلا في تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ما نصه : (وليس في الآية ما يدل على تفضيل أبي بكر، لأن قوله { ثاني اثنين } مجرد الإخبار أن النبي صلى الله عليه وآله خرج ومعه غيره، وكذلك قوله { إذ هما في الغار } خبر عن كونهما فيه ، يذكر الفخر الرازي أنه قد طعن بعض الحمقى من الروافض في هذا الوجه وقال كونه ثاني اثنين للرسول لا يكون أعظم من كون الله تعالى رابعاً لكل ثلاث

[28] راجع موقع(التفاسير) تفاسير الشيعة الاثني عشرية

في قوله مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ، ثم إن هذا الحكم عام في حق الكافر والمؤمن فلما لم يكن هذا المعنى من الله تعالى دالاً على فضيلة الإنسان فلأن لا يدل من النبي على فضيلة الإنسان كان أولى ، والجواب أن هذا تعسف بارد لأن المراد هناك كونه تعالى مع الكل بالعلم والتدبير وكونه مطلعاً على ضمير كل أحد أما ههنا فالمراد بقوله تعالى ثَانِيَ اثْنَيْنِ تخصيصه بهذه الصفة في معرض التعظيم ، وأيضاً قد دللنا على أن كونه معه في هذا الموضع دليل قاطع على أنه صلى الله عليه وسلم كان قاطعاً بأن باطنه كظاهره فأين أحد الجانبين من الآخر[٢٩] ، و لا يخفى أن (ثاني اثنين) وكذا (إذ هما في الغار) إنما يدلان بمعونة المقام على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه ولا ندعي دلالتهما مطلقا ، ومعونة المقام أظهر من نار على علم ولا يكاد ينتطح كبشان في أن الرجل لا يكون ثانيا باختياره لآخر ولا معه في مكان إذا فر من عدو ما لم يكن معولا عليه متحققا صدقه لديه لاسيما وقد ترك الآخر لأجله أرضا حلت فيها قوابله وحلت عنه بها تمائمه وفارق أحبابه وجفا أترابه وامتطى غارب سبسب يضل بها القطا وتقصر فيه الخطا ، ومما يدل على فضل تلك الإثنينية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم مسكنا جأش أبي بكر ما ظنك باثنين الله تعالى ثالثهما[٣٠]

وقد ناقش الشيخ رشيد رضا الروافض في هذه النقطة ، فخاطبهم بقوله: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا فَضِيلَةَ لِلصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي كَوْنِهِ مَعَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَانِيَ اثْنَيْنِ بِشَهَادَةِ رَبِّ الْعِزَّةِ ، وَلَا فِي كَوْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَالِثَهُمَا ؛ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَا فَضِيلَةَ فِيهِ بِزَعْمِكُمْ مَهْمَا تَكُنْ قِيمَةُ الْمَعْدُودِ بِذَلِكَ الْعَدَدِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَبِرَسُولِهِ لَا يَقُولُونَ إِنَّ لَفْظَ " اثْنَيْنِ " أَوْ لَفْظَ " ثَانِيَ " أَوْ " ثَالِثُهُمَا " ، لَهُ فَضِيلَةٌ فِي حُرُوفِهِ أَوْ تَرْكِيبِهَا أَوِ النُّطْقِ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ إِنَّ الْفَضِيلَةَ لِلصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي الْمَعْدُودِ وَالْمُرَادُ بِلَفْظِ ثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْآيَةِ وَبِلَفْظِ " مَا قَوْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي اثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا " فِي الْحَدِيثِ ، فَثَلَاثَةٌ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَحَدُهُمْ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ثَانِيهِمْ يَكُونُ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَعْظَمُ الشَّرَفِ فِي أَنْ يَكُونَ ثَالِثَهُمْ - أَوْ كَمَا قُلْتُمْ مُتِمًّا لِلْعَدَدِ - وَيَزِيدُ هَذَا الشَّرَفَ الذَّاتِيَّ قِيمَةً أَنَّهُ لَيْسَ يَحْصُلُ مِثْلُهُ بِالْمُصَادَفَةِ ، وَلَا بِالْكَسْبِ وَالسَّعْيِ ، وَإِنَّمَا الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُ هُوَ رَسُولُ اللهِ بِإِذْنِ اللهِ ، وَالْمُخْبِرُ بِذَلِكَ هُوَ اللهُ وَرَسُولُهُ . وَلَوْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لَقُلْتُمْ فِي الثَّلَاثَةِ حِينَئِذٍ نَحْوًا مِمَّا قَالَتِ النَّصَارَى فِي ثَالُوثِهِمْ

---

[٢٩] راجع الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ١٦ص ٥٢ و الألوسي : روح المعاني ج١٠/ص١٠١

[٣٠] الألوسي : روح المعاني ج١٠/ص١٠١

(الْآبِ وَالِابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ) كَمَا قُلْتُمْ فِي كَوْنِهِ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَحَدُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حُنَيْنٍ ، فَجَعَلْتُمْ هَذَا الثَّبَاتَ الَّذِي لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ ، وَلَمْ يَثْبُتْ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَلَا بِحَدِيثٍ مَرْفُوعٍ ، وَلَا مُرْسَلٍ مُتَوَاتِرٍ ، حُجَّةً عَلَى كَوْنِهِ وَحْدَهُ دُونَ مَنِ اعْتَرَفْتُمْ بِثَبَاتِهِمْ مَعَهُ سَبَبًا لِلنَّصْرِ ، وَإِنْقَاذِ الرَّسُولِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي الْوُجُودِ ، وَكَمَا فَعَلْتُمْ فِي حَدِيثِ مُؤَاخَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ ، إِذْ فَضَّلْتُمُوهُ بِهِ عَلَى الصِّدِّيقِ وَغَيْرِهِ عَلَى حِينِ قَدْ ثَبَتَتْ تَسْمِيَةُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصِّدِّيقَ أَخًا لَهُ بِأَحَادِيثَ أَصَحَّ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ كَقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا دُونَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ عِنْدَهُ أَعْلَى مَنْزِلَةً مِنْ جَمِيعِ أُمَّتِهِ ، ثم يذكر أن مِنْ أَكْبَرِ جِنَايَاتِ الرَّوَافِضِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - خَصْمَيْنِ ، وَمَا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِهِمَا مُعَارِضًا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، وَكُلُّ هَذَا بَاطِلٌ ، فَمَا كَانَا إِلَّا أَخَوَيْنِ فِي اللهِ ، وَفِي نَصْرِ رَسُولِهِ ، وَإِقَامَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا مَقَامٌ مَعْلُومٌ ، وَمَا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ عَلِيٍّ أَعْلَى اللهُ مَقَامَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ غَيْرِهِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ [٣١]

المطلب الثالث : درء شبهة في فهمهم لقوله تعالي (إذ يقول لصاحبه)

حيث أنكر الرافضة دلالة الآية على شيء من الفضل في حق الصديق رضي الله تعالى عنه حيث ذكروا في قوله (لصاحبه) أن الصحبة تكون بين المؤمن والكافر واعترضوا وقالوا إن الله تعالى وصف الكافر بكونه صاحباً للمؤمن كما في قوله تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك وقوله سبحانه وما صاحبكم بمجنون و يا صاحبي السجن ، حيث جاء مثلا في تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ما نصه : وقوله { إذ يقول لصاحبه } لا مدح فيه أيضاً، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة ألا ترى أن الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر{ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك } وقد يسمون البهيمة بأنها صاحب الإنسان كقول الشاعر (وصاحبي بازل شمول) وقد يقول الرجل المسلم لغيره: أرسل إليك صاحبي اليهودي، ولا يدل ذلك على الفضل،

وقد أشار إلي ذلك العلامة ابن حزم فذكر أنه قد اعترض في أفضلية الصديق بعض أهل القحة فقال قد قال الله عز وجل فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا ، قال أبو محمد : وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر وبأنهما مختلفان فإنما سماه صاحبه في

---

[٣١] راجع رشيد رضا : تفسير المنار ج ١٠ ص ٣٩٤

المحاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا) فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب فليس هكذا قوله تعالى (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) بل جعله صاحبه في الدين والهجرة وفي الإخراج وفي الغار وفي نصرة الله لهما أخافة الكفار لهما وفي كونه تعالى معهما فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن[٣٢] ،

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قد زعم بعض الرافضة أن قوله تعالى (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) لا يدل على إيمان أبي بكر فإن الصحبة قد تكون من المؤمن والكافر ، فأخذ يرد عليهم فيذكر أنه معلوم أن لفظ الصاحب في اللغة يتناول من صحب غيره ليس فيه دلالة بمجرد هذا اللفظ على أنه وليه أو عدوه أو مؤمن أو كافر إلا لما يقترن به وقد قال تعالى والصاحب بالجنب وابن السبيل سورة النساء ٣٦ وهو يتناول الرفيق في السفر والزوجة وليس فيه دلالة على إيمان أو كفر ، وكذلك قوله تعالى والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى سورة النجم ١ ٢ وقوله وما صاحبكم بمجنون سورة التكوير ٢٢ المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لكونه صحب البشر فإنه إذا كان قد صحبهم كان بينه وبينهم من المشاركة ما يمكنهم أن ينقلوا عنه ما جاءه من الوحي وما يسمعون به كلامه ويفقهون معانيه بخلاف الملك الذي لم يصحبهم فإنه لا يمكنهم الأخذ عنه ، وأيضا قد تضمن ذلك أنه بشر من جنسهم وأخص من ذلك أنه عربي بلسانهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه سورة التوبة ١٢٨ وقال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه سورة إبراهيم ٤ فإنه إذا كان قد صحبهم كان قد تعلم لسانهم وأمكنه أن يخاطبهم بلسانهم فيرسل رسولا بلسانهم ليتفقهوا عنه فكان ذكر صحبته لهم هنا على اللطف بهم والإحسان إليهم ، وهذا بخلاف إضافة الصحبة إليه كقوله تعالى لا تحزن إن الله معنا وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقوله هل أنتم تاركي لي صاحبي وأمثال ذلك ، فإن إضافة الصحبة إليه في خطابه وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاة له وذلك لا يكون إلا بالإيمان به فلا يطلق لفظ صاحبه على من صحبه في سفره وهو كافر به

والقرآن يقول فيه (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه وهذه المعية تتضمن النصر والتأييد وهو إنما ينصره على عدوه وكل كافر عدوه فيمتنع أن يكون الله مؤيدا له ولعدوه معا ولو كان مع عدوه لكان ذلك مما يوجب الحزن ويزيل السكينة فعلم أن لفظ صاحبه تضمن صحبة ولاية ومحبة وتستلزم الإيمان

---

[٣٢] ابن حزم : الفصل في الملل ج٤/ص١١٣ - ١١٤

له وبه وأيضا فقوله لا تحزن دليل على أنه وليه وإنه حزن خوفا من عدوهما فقال له لا تحزن إن الله معنا ولو كان عدوه لكان لم يحزن إلا حيث يتمكن من قهره فلا يقال له لا تحزن إن الله معنا لأن كون الله مع نبيه مما يسر النبي وكونه مع عدوه مما يسوءه فيمتنع أن يجمع بينهما لا سيما مع قوله لا تحزن ثم قوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، ونصره لا يكون بأن يقترن به عدوه وحده وإنما يكون باقتران وليه ونجاته من عدوه فكيف لا ينصر على الذين كفروا من يكونون قد لزموه ولم يفارقوه ليلا ولا نهارا وهم معه في سفره [٣٣] ،

ويرد عيهم الألوسي فيذكر أن الصحبة اللغوية وإن لم تدل بنفسها على المدعي لكنها تدل عليه بمعونة المقام أيضا فإضافة صاحب إلى الضمير للعهد أي صاحبه الذي كان معه في وقت يجفو فيه الخليل خليله ورفيقه الذي فارق لمرافقته أهله وقبيله ، ويذكر الرازي أن هناك وإن وصفه بكونه صاحباً له ذكراً إلا أنه أردفه بما يدل على الإهانة والإذلال وهو قوله أَكَفَرْتَ ، أما ههنا فبعد أن وصفه بكونه صاحباً له ذكر ما يدل على الإجلال والتعظيم وهو قوله لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فأي مناسبة بين البابين لولا فرط العداوة[٣٤]

بطلان قولهم (يجوز أن يستصحبه معه لئلا يظهر أمره حذرا منه)

ويذكر الفخر الرازي أن قولهم يحتمل أن يقال إنه استخلصه لنفسه لأنه كان يخاف منه أنه لو تركه في مكة أن يدل الكفار عليه وأن يوقفهم على أسراره ومعانيه فأخذه مع نفسه دفعاً لهذا الشر، والجواب أن الذي قالوه هو أخس من شبهات السوفسطائية فإن أبا بكر لو كان قاصداً له لصالح بالكفار عند وصولهم إلى باب الغار وقال لهم نحن ههنا ولقال ابنه وابنته عبد الرحمن وأسماء للكفار نحن نعرف مكان محمد فندلكم عليه ، فنسأل الله العصمة من عصبية تحمل الإنسان على مثل هذا الكلام الركيك ، ويري أنه عليه السلام لما ذهب إلى الغار لأجل أنه كان يخاف الكفار من أن يقدموا على قتله فلولا أنه عليه السلام كان قاطعاً على باطن أبي بكر بأنه من المؤمنين المحققين الصادقين الصديقين وإلا لما أصحبه نفسه في ذلك الموضع لأنه لو جوز أن يكون باطنه بخلاف ظاهره لخافه من أن يدل أعداءه عليه وأيضاً لخافه من أن يقدم على قتله فلما استخلصه لنفسه في تلك الحالة دل على أنه عليه السلام كان قاطعاً بأن باطنه على وفق ظاهره[٣٥] ،

---

[٣٣] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٨/ص٤٦٩ - ص٤٧٢

[٣٤] راجع الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ١٦ص ٥٣ و الألوسي : روح المعاني ج١٠/ص١٠١

[٣٥] راجع الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ١٦ص ٥١ -٥٢ ، ٥٥

ويذكر الألوسي أن ما ذكر من أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخرجه إلا حذرا من كيده غير صحيح ، فالآية ليس فيها شائبة دلالة على إخراجه له أصلا فضلا عن كون ذلك حذرا من الكيد على أن الحذر لو كان في معيته له عليه الصلاة والسلام وأي فرصة تكون مثل الفرصة التي حصلت حين جاء الطلب لباب الغار فلو كان عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه وحاشاه أدنى ما يقال لقال هلموا فههنا الغرض ولا يقال إنه خاف على نفسه أيضا لأنه يمكن أن يخلصها منهم بأمور ولا أقل من أن يقول لهم خرجت لهذه المكيدة وأيضا لو كان الصديق كما يزعم الزنديق فأي شيء منعه من أن يقول لابنه عبدالرحمن أو ابنته أسماء أو مولاه عامر بن فهيرة فقد كانوا يترددون إليه في الغار كما أخرج ابن مردويه عن عائشة فيخبر أحدهم الكفار بمكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأيضا إذا انفتح باب هذا الهذيان أمكن للناصبي أن يقول والعياذ بالله تعالى في علي كرم الله تعالى وجهه إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يأمره بالبيتوتة على فراشه الشريف ليلة هاجر إلا ليقتله المشركون ظنا منهم أنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيستريح منه ، وليس هذا القول بأعجب ولا أبطل من قول الشيعي إن إخراج الصديق إنما كان حذرا من شره ، فليتق الله سبحانه من فتح هذا الباب المستهجن عند ذوي الألباب [٣٦]

المطلب الرابع : شبهة في ادعائهم أن حزن أبي بكر- من خلال قوله – (لا تحزن) يدل علي نقصه : يذكر الفخر الرازي أن الروافض احتجوا بهذه الآية وبهذه الواقعة على الطعن في أبي بكر من وجوه ضعيفة حقيرة جارية مجرى إخفاء الشمس بكف من الطين حيث قالوا إنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي بكر(لا تحزن) فذلك الحزن إن كان حقاً فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه وإن كان خطأ لزم أن يكون أبو بكر مذنباً وعاصياً في ذلك الحزن ، وجاء في تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) أن قوله { لا تحزن } إن لم يكن ذمّاً فليس بمدح بل هو نهي محض عن الخوف،

والجواب أن أبا علي الجبائي لما حكى عنهم تلك الشبهة قال فيقال لهم يجب في قوله تعالى لموسى عليه السلام لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأعلى أن يدل على أنه كان عاصياً في خوفه وذلك طعن في الأنبياء ويجب في قوله تعالى في إبراهيم حيث قالت الملائكة له لاَ تَخَفْ في قصة العجل المشوي مثل ذلك وفي قولهم للوط لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ مثل ذلك ، فإذا قالوا إن ذلك الخوف إنما حصل بمقتضى البشرية وإنما ذكر الله تعالى ذلك في قوله لاَ تَخَفْ ليفيد الأمن وفراغ القلب ، قلنا لهم في هذه المسألة

[٣٦] الألوسي : روح المعاني ج١٠/ص١٠٢

كذلك ، والعجب منهم فإنا لو قدرنا أن أبا بكر ما كان خائفاً لقالوا إنه فرح بسبب وقوع الرسول في البلاء ولما خاف وبكى قالوا هذا السؤال الركيك وذلك يدل على أنهم لا يطلبون الحق وإنما مقصودهم محض الطعن ، [٣٧]

يذكر الإمام ابن العربي أن الإمامية - قبحها الله - قالت : حزن أبي بكر في الغار مع كونه مع النبي دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه وحيرته ، وقد أجاب على ذلك علماؤنا بثلاثة أجوبة : الأول : أن قوله لا تحزن ليس بموجب بظاهره وجود الحزن إنما يقتضي منعه منه في المستقبل فلعل النبي قال له ذلك زيادة في طمأنينة قلبه فإن الصديق قال للنبي لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال له لا تحزن إن الله معنا لتطمئن نفسه ، الثاني : أن الصديق لا ينقصه إضافة الحزن إليه كما لم تنقص إبراهيم حين قيل عنه (نكرهم وأوجس منهم خيفة) ولم ينقص موسى قوله عنه (فأوجس في نفسه خيفة موسى) ، وهذان العظيمان قد وجدت عندهم التقية نصا وإنما هي عند الصديق ها هنا باحتمال ، الثالث : أن حزن الصديق رضي الله عنه لم يكن لشك وحيرة ، وإنما كان خوفا على النبي أن يصل إليه ضرر ولم يكن النبي في ذلك الوقت معصوما من الضرر، فكيف يكون الصديق رضي الله عنه ضعيف القلب وهو لم يستخف حين مات النبي بل ظهر وقام المقام المحمود الذي تقدم ذكرنا له بقوة يقين ووفور علم وثبوت جأش وفصل للخطبة التي تعيي المحتالين[٣٨]

أما العلامة ابن حزم فقد حكي عنهم قولهم (وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم) واستفاض في الرد عليهم ، وتفنيد مزاعمهم فقال : وأما حزن أبي بكر رضي الله عنه فإنه قبل أن ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاية الرضا لله لأنه كان إشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن ولكان ذلك على محمد وموسى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الأرذال حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن أبي بكر عيبا عليه لكان عيبا لأن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ثم قال تعالى عن السحرة أنهم قالوا لموسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف

[٣٧] الفخر الرازي : التفسير الكبير ج١٦/ص٥٥
[٣٨] ابن العربي : أحكام القرآن ج٢/ص٥١٥

إنك أنت الأعلى فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه قد كان أخبره الله عز وجل بأن فرعون وملأه لا يصلون إليه وأن موسى ومن اتبعه هو الغالب ثم أوجس في نفسه خيفة بعد ذلك إذ رأى أمر السحرة حتى أوحى الله عز وجل إليه لا تخف فهذا أمر أشد من أمر أبي بكر وإذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق أبا بكر وحاشا لله أن يلزمه من أن حزنه لو كان لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزم أشد منه لموسى عليه السلام وأن إيجاسه الخيفة في نفسه لو كان رضا لله تعالى ما نهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا بل إيجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن إلا نسيان الوعد المتقدم وحزن أبي بكر رضي الله عنه رضا لله تعالى قبل أن ينهي عنه ولم يكن تقدم اليه نهى عن الحزن وأما محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قال ومن كفر فلا يحزنك كفره وقال تعالى ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق وقال تعالى ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ووجدناه عز وجل قد قال قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ، فهذا الله تعالى أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنه الذي يقولون ونهاه الله عز وجل عن ذلك نصا فيلزمهم في حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نهاه الله تعالى عنه كالذي أراد في حزن أبي بكر سواء بسواء ونعم أن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل أن ينهاه الله عز وجل وما حزن عليه السلام بعد أن نهاه ربه تعالى عن الحزن كما كان حزن أبي بكر طاعة لله عز وجل قبل أن ينهاه الله عز وجل عن الحزن وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه عليه السلام عن الحزن فكيف وقد يمكن أن يكون أبو بكر لم يحزن يومئذ لكن نهاه عليه السلام عن أن يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام ولا تطع منهم آثما أو كفورا فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهذا إنما يعترض به أهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال[٣٩] ،

المطلب الخامس : درء شبهة في فهمهم لقوله تعالي (إن الله معنا)

حيث زعم الرافضة – كما سبق -أن هذه المعية مثلها مثل المعية العامة ، فقالوا : إن كان الفضل في قوله تعالي (إن الله معنا) فيحتمل أن يكون المراد إثبات معية الله تعالى الخاصة له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده لكن أتى ب (نا) سدا لباب الإيحاش ونظير ذلك الإتيان بأوفى قوله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) جاء في تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ما نصه : وقوله { إن الله معنا } قيل إن المراد به النبي صلى الله عليه وآله، ولو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه

---

[٣٩] ابن حزم : الفصل في الملل ج٤/ص١١٣ - ١١٤

فضيلة، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح لا تفعل إن الله معنا يريد أنه متطلع علينا، عالم بحالنا. والسكينة قد بينا أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وآله بما بيناه من أن التأييد بجنود الملائكة كان يختص بالنبي صلى الله عليه وآله فأين موضع الأفضلية للرجل لولا العناد، ثم يزعم أنه لم يذكر هذا للطعن على أبي بكر بل بينا أن الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح.

وقد سبق أن بينا أنها معية خاصة تستلزم تفضيل الصديق علي غيره من الصحابة ، وبالجملة فالرسول عليه الصلاة والسلام – كما يقول الرازي - شرك بين نفسه وبين أبي بكر في هذه المعية فإن حملوا هذه المعية على وجه فاسد لزمهم إدخال الرسول فيه وإن حملوها على محمل رفيع شريف لزمهم إدخال أبي بكر فيه ، ونقول بعبارة أخرى دلت الآية على أن أبا بكر كان الله معه وكل من كان الله معه فإنه يكون من المتقين المحسنين لقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ، والمراد منه الحصر والمعنى إن الله مع الذين اتقوا لا مع غيرهم وذلك يدل على أن أبا بكر من المتقين المحسنين ، ويذكر أن الروافض في الدين كانوا إذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل وأرادوا به أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلياً وفاطمة والحسن والحسين كانوا قد احتجبوا تحت عباءة يوم المباهلة فجاء جبريل وجعل نفسه سادساً لهم فذكروا للشيخ الإمام الوالد رحمه الله تعالى أن القوم هكذا يقولون فقال رحمه الله لكم ما هو خير منه بقوله ما ظنك باثنين الله ثالثهما ومن المعلوم بالضرورة أن هذا أفضل وأكمل ، وينتهي الرازي في تقرير هذا المطلوب بأن قوله إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا يدل على كونه ثاني اثنين في الشرف الحاصل من هذه المعية كما كان ثاني اثنين إذ هما في الغار وذلك منصب في غاية الشرف[٤٠] ، وما ذكر من أن المعية الخاصة كانت لرسول الله عليه الصلاة والسلام وحده وأن الإتيان ب نا لسد باب الإيحاش فهو – كما يقول الألوسي - من باب المكابرة الصرفة كما يدل عليه الخبر المار آنفا على أنه إذا كان ذلك الحزن إشفاقا على رسول الله عليه الصلاة والسلام لا غير فأي إيحاش في قوله لا تحزن على إن الله معي وإن كان إشفاقا على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى نفسه رضي الله تعالى عنه لم يقع التعليل موقعه والجملة مسوقة له ولو سلمنا الإيحاش على الأول ووقوع التعليل موقعه على الثاني يكون ذلك الحزن دليلا واضحا على مدح الصديق وإن كان على نفسه فقط كما يزعمه ذو النفس الخبيثة لم يكن للتعليل معنى أصلا وأي معنى في لا تحزن على نفسك إن الله معي لا معك ، على أنه يقال للرافضي هل فهم الصديق رضي الله تعالى عنه من الآية ما فهمت من التخصيص وأن التعبير ب (نا) كان سدا

---

[٤٠] راجع الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ١٦ص ٥٣

لباب الإيحاش أم لا فإن كان الأول يحصل الإيحاش ولا بد فنكون قد وقعنا فيما فررنا عنه وإن كان الثاني فقد زعمت لنفسك رتبة لم تكن بالغها ولو زهقت روحك ولو زعمت المساواة في فهم عبارات القرآن الجليل وإشاراته لمصاقع أولئك العرب المشاهدين للوحي ما سلم لك أو تموت فكيف يسلم لك الامتياز على الصديق وهو هو وقد فهم من إشارته صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث التخيير ما خفي على سائر الصحابة حتى علي كرم الله تعالى وجهه فاستغربوا بكاءه رضي الله تعالى يومئذ وما ذكر من التنظير في الآية مشير إلى التقية التي اتخذها الرافضة دينا وحرفوا لها الكلم عن مواضعها ، وما ذكر في أمر السكينة فجوابه يعلم مما ذكرناه وكون التخصيص مشيرا إلى إخراج الصديق رضي الله تعالى عنه عن زمرة المؤمنين كما رمز إليه الكلب عدو الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان ما خفي على أولئك المشاهدين للوحي الذين من جملتهم الأمير كرم الله تعالى وجهه فكيف مكنوه من الخلافة التي هي أخت النبوة عند الشيعة وهم الذين لا تأخذهم في الله تعالى لومة لائم وكون الصحابة قد اجتمعوا في ذلك على ضلالة والأمير كان مستضعفا فيما بينهم أو مأمورا بالسكوت وغمد السيف إذ ذاك كما زعمه المخالف قد طوى بساط رده وعاد شذر مذر فلا حاجة إلى إتعاب القلم في تسويد وجه زاعمه ، وينتهي الألوسي – بعد كلام طويل – إلي أن من أحاط خبرا بأطراف ما ذكرناه من الكلام في هذا المقام علم أن قول الرافضة (وإن كان شيئا وراء ذلك فبينوه لنا حتى نتكلم عليه) ناشيء عن محض الجهل أو العناد ومن يضلل الله فما له من هاد ، وبالجملة إن الشيعة قد اجتمعت كلمتهم على الكفر بدلالة الآية على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه ويأبى الله تعالى إلا أن يكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته هي العليا [٤١] ،

ويذكر الشيخ رشيد رضا أن مَا زَعَمه هؤلاء مِنِ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ إِنَّ اللهَ مَعَنَا إِثْبَاتَ الْمَعِيَّةِ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحْدَهُ ، لَا يَصْدُرُ مِثْلُهُ إِلَّا عن الرافضة بِالتَّبَعِ لِمَلَاحِدَةِ سَلَفِهم الْبَاطِنِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا مِثْلَ هَذَا فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعَقَائِدِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَأْبَاهُ اللَّفْظُ وَالْأُسْلُوبُ وَالسِّيَاقُ وَالْمَقَامُ ، وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِالْكَلَامِ الْإِفْهَامُ ، وَمَا زَعَمُوهُ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَفْهَمَ صَاحِبَهُ غَيْرَ الْحَقِّ وَأَرَادَ أَنْ يَغُشَّهُ وَيُوهِمَهُ بِالْبَاطِلِ أَنَّ اللهَ مَعَهُمَا ؟ حَاشَ لِلَّهِ وَحَاشَ لِرَسُولِهِ ، مَا هَذَا إِلَّا مِنْ نَوْعِ تَحْرِيفِ الْيَهُودِ وَالْبَاطِنِيَّةِ لِكَلَامِ اللهِ ، بِمَا لَا يَلِيقُ بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ بَعِيدَةٌ أَشَدَّ الْبُعْدِ عَنْ جُمْلَةِ : وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٤ : ٢٤) الْمُرَادُ بِهَا اسْتِمَالَةُ الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ لِاسْتِمَاعِ حُجَجِ الْقُرْآنِ وَكَانُوا

---

[٤١] الألوسي : روح المعاني ج١٠/ص١٠١ - ١٠٢

يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ (٦ : ٢٦) وَالتَّرْدِيدُ فِيهَا حَقٌّ ؛ فَإِنَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ لَا مَفَرَّ مِنْ ذَلِكَ فِي نَظَرِ الْعَقْلِ ، وَهُوَ لَا يُمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الْوَاقِعُ بِالْفِعْلِ أَنَّ الْمُخَاطِبَ لَهُمْ وَهُوَ الرَّسُولُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى الْهُدَى ، وَأَنْ يَكُونُوا هُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[٤٢] ، فلو كان أبو بكر مبغضا كما يقول المفترون لم يحزن ولم ينه عن الحزن بل كان يضمر الفرح والسرور ولا كان الرسول يقول له لا تحزن إن الله معنا ، فإن قال المفتري إنه خفي على الرسول حاله لما أظهر له الحزن وكان في الباطن مبغضا، فإن قال المفتري إنه خفي على الرسول حاله لما أظهر له الحزن وكان في الباطن مبغضا ، قيل له فقد قال : إن الله معنا فهذا إخبار بأن الله معهما جميعا بنصره ولا يجوز للرسول أن يخبر بنصر الله لرسوله وللمؤمنين وأن الله معهم ويجعل ذلك في الباطن منافقا فإنه معصوم في خبره عن الله لا يقول عليه إلا الحق وإن جاز أن يخفى عليه حال بعض الناس فلا يعلم أنه منافق ، فكيف يشهد لأبي بكر بأن الله معهما وهو لا يعلم ذلك والكلام بلا علم لا يجوز ، وأيضا فإن الله أخبر بهذا عن الرسول إخبار مقرر له لا إخبار منكر له فعلم أن قوله إن الله معنا من الخبر الصدق الذي أمر الله به ورضيه لا مما أنكره وعابه ، وأيضا فمعلوم – كما يقول ابن تيمية -أن أضعف الناس عقلا لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي يعاديه فيه الملأ الذين هم بين أظهرهم ويطلبون قتله وأولياؤه هناك لا يستطيعون نصره فكيف يصحب واحدا ممن يظهر له موالاته دون غيره وقد أظهر له هذا حزنه وهو مع ذلك عدو له في الباطن والمصحوب يعتقد أنه وليه وهذا لا يفعله إلا أحمق الناس وأجهلهم ، فقبح الله من نسب رسوله الذي هو أكمل الخلق عقلا وعلما وخبرة إلى مثل هذه الجهالة والغباوة ،

ولقد بلغني عن ملك المغول خدابنده الذي صنف له هذا الرافضي كتابه هذا في الإمامة أن الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام إن أبا بكر كان يبغض النبي صلى الله عليه وسلم وكان عدوه ويقولون مع هذا إنه صحبه في سفر الهجرة الذي هو أعظم الأسفار خوفا قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برأ الله رسوله منها لكن ذكرها على من افترى الكذب الذي أوجب أن يقال في الرسول مثلها حيث قال كان قليل العقل ، ولا ريب أن فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل وقد برأ الله رسوله وصديقه من كذبهم وتبين أن قولهم يستلزم القدح في الرسول [٤٣]

[٤٢] راجع رشيد رضا : تفسير المنار ج ١٠ ص ٣٩٥

[٤٣] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٨/ص٤٢٨ ـ٤٣١

الخاتمة :

وتحتوي علي أهم نتائج البجث :

١ - تبين أن الإمامية أو الرافضة لا يرجعون في شيء مما ينفردون به عن الجمهور إلى الحجة أصلا لا عقلية ولا سمعية ولا نص ولا إجماع وإنما عمدتهم دعوى نقل مكذوب يعلم أنه كذب أو دعوى دلالة نص أو قياس يعلم أنه لا دلالة له والرافضة أجهل الطوائف بالأحاديث والآثار وأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا يوجد في كتبهم وكلامهم من الجهل والكذب في المنقولات ما لا يوجد في سائر الطوائف

٢ - من أراد أن يعرف فضائل الصحابة ومنازلهم عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وبخاصة الصديق الأكبر والمستشار الأعظم ، فليتدبر الأحاديث الصحيحة التى صححها أهل العلم بالحديث الذين كملت خبرتهم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ومحبتهم له وصدقهم في التبليغ عنه وصار هواهم تبعا لما جاء به فليس لهم غرض إلا معرفة ما قاله وتمييزه عما يخلط بذلك من كذب الكاذبين وغلط الغالطين

٣ - إذا تدبر العاقل الأحاديث الصحيحة الثابتة عند هؤلاء وأمثالهم عرف الصدق من الكذب فإن هؤلاء من أكمل الناس معرفة بذلك وأشدهم رغبة في التمييز بين الصدق والكذب وأعظمهم ذبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم المهاجرون إلى سنته وحديثه والأنصار له في الدين يقصدون ضبط ما قاله وتبليغه للناس وينفون عنه ما كذبه الكذابون وغلط فيه الغالطون ومن شركهم في علمهم علم ما قالوه وعلم بعض قدرهم وإلا فليسلم القوس إلى باريها كما يسلم إلى الأطباء طبهم وإلى النحاة نحوهم وإلى الفقهاء فقههم وإلى أهل الحساب حسابهم

٤ - بيان اختصاص الصديق في الصحبة الإيمانية بما لم يشركه مخلوق لا في قدرها ولا في صفتها ولا في نفعها فإنه لو أحصى الزمان الذي كان يجتمع فيه أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم والزمان الذي كان يجتمع فيه عثمان أو علي أو غيرهما من الصحابة لوجد ما يختص به أبو بكر أضعاف ما اختص به واحد منهم لا أقول ضعفه وأما المشترك بينهم فلا يختص به واحد

وأما كمال معرفته ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم وتصديقه له مبرز في ذلك على سائرهم تبريزا باينهم فيه مباينه لا تخفى على من كان له معرفة بأحوال القوم ومن لا معرفة له بذلك لم تقبل شهادته ، وأما نفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاونته له على الدين فكذلك

فهذه الأمور التي هي مقاصد الصحبة ومحامدها التي بها يستحق الصحابة أن يفضلوا بها على غيرهم لأبي بكر فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيه أحد

٥ -ِلَمْ يُكَاشِفِ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِهِجْرَتِهِ أَحَدًا غَيْرَ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ : الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنُ بِهِ مِمَّنْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَهْلِ بَيْتِهِ (وَهُمْ زَوْجُهُ خَدِيجَةُ وَعَتِيقُهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَرَبِيبُهُ عَلِيٌّ ، وَكَانَ دُونَ الْبُلُوغِ ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ عَلِمُوا بِنُبُوَّتِهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَصَدَّقُوهُ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ اللهُ بِالْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبَهُ الْمُلَازِمَ ، وَمُسْتَشَارَهُ الدَّائِمَ ، وَوَزِيرَهُ الْأَكْبَرَ وَمَوْضِعَ سِرِّهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَشَدَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ اسْتِعْدَادًا لِنُورِ الْإِسْلَامِ بِسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ ، وَطَهَارَةِ نَفْسِهِ ، وَقُوَّةِ عَقْلِهِ ، وَعِرْفَانِهِ بِفَضَائِلِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَقَدْ كَانَ صَدِيقُهُ مِنْ سِنِّ الشَّبَابِ .

٦- تبين أن الإمامية قد بالغوا في تشيعهم، وتعدوا حدود العقل والشرع، فكفَّروا الكثير من الصحابة، واعتبروا أبا بكر وعمر مغتصبين للخلافة ظالمين لعليّ رضي الله عنه، فأوجبوا التبرؤ منهما، أخذوا يموِّهون على الناس، ويغرون العامة بما وضعوه من أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته، وطعنوا على الصحابة إلا نفراً قليلاً منهم، ورموهم بكل نقيصة فى الدين، ليجدوا لأنفسهم من وراء ذلك ثغرة يخرجون منها عندما تأخذ بخناقهم الأحاديث الصحيحة التى يرويها هؤلاء الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يسلم من هذا التطرف إلا نفر قليل، كالعلامة الطبرسي صاحب التفسير.

٧- بيان أَنَّ قَائِلِي مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ مِنْ تَحْرِيفِ الرَّافِضَةِ لِلْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَلِلْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ فِي مَنَاقِبِ الصِّدِّيقِ لَيْسُوا مِنَ الْجَهْلِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، بِحَيْثُ يَعْتَقِدُونَ صِحَّةَ مَا قَالُوا وَمَا كَتَبُوا ، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ يَجْحَدُونَ مَا يَعْتَدُونَ ، وَيَفْتَرُونَ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ كَالْيَهُودِ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ حَرَّفُوا الْبِشَارَاتِ بِمُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وَكَدُعَاةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ ، وَالَّذِينَ وَضَعُوا لَهُمْ قَوَاعِدَ الرَّفْضِ وَخُطَطَ التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ هُمْ مَلَاحِدَةُ الشِّيعَةِ الْبَاطِنِيَّةِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهَا إِلَى هَدْمِ هَذَا الدِّينِ ، وَإِزَالَةِ مُلْكِ الْعَرَبِ ؛ تَمْهِيدًا لِإِعَادَةِ الدِّيَانَةِ الْمَجُوسِيَّةِ وَالسُّلْطَةِ الْكِسْرَوِيَّةِ ، وَقَدْ وَضَعُوا لَهُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ عَنْ أَئِمَّةِ آلِ الْبَيْتِ فِي تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ وَالْغُلُوِّ فِيهِمْ ، وَمِنْ قَوَاعِدِ الْبِدَعِ مَا كَانُوا بِهِ شَرَّ فِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَقَدْ بَرَعُوا فِي تَرْبِيَةِ عَوَامِّهِمْ عَلَى بِدَعِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْغُلُوِّ فِي تَعْظِيمِ عَلِيٍّ وَآلِهِ بِمَا هُوَ وَرَاءَ مُحِيطِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَاللُّغَةِ ، وَالْغُلُوِّ فِي بُغْضِ الصِّدِّيقِ وَالْفَارُوقِ وَذِي النُّورَيْنِ وَأَكَابِرِ الْمُهَاجِرِينَ وَجُمْهُورِ الصَّحَابَةِ ، وَالطَّعْنِ فِيهِمْ بِمَا هُوَ وَرَاءَ مُحِيطِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَاللُّغَةِ أَيْضًا .

٨- وَإِنَّمَا خَصُّوا الْخَلِيفَتَيْنِ الْأَوَّلَيْنَ مِنْهُمْ بِمَزِيدِ الْبُغْضِ وَالذَّمِّ ؛ لِأَنَّهُمَا هُمَا اللَّذَانِ جَهَّزَا الْجُيُوشَ وَسَيَّرُوهَا إِلَى بِلَادِ فَارِسَ فَفَتَحُوهَا وَأَزَالُوا دِينَهَا وَمُلْكَهَا مِنَ الْوُجُودِ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ التَّقَالِيدُ رَاسِخَةً بِالتَّرْبِيَةِ وَالْوِرَاثَةِ حَتَّى صَارَ مَنْ يُسَمُّونَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدِينَ يَكْتُبُونَ ما هو أَعْرَقُ فِي الْغُلُوِّ ، وَأَرْسَخُ فِي الْجَهْلِ مِمَّا نَقَلَهُ الرَّازِيُّ وَالْآلُوسِيُّ هُنَا عَنْ بَعْضِ مُتَقَدِّمِيهِمْ . فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ مَنْ يُسَمُّونَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدِينَ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى التَّقْلِيدِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ؟ ثُمَّ كَيْفَ حَالُ عَوَامِّهِمُ الَّذِينَ يُلَقِّنُونَهُمْ هَذِهِ الْأَضَالِيلَ وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَى بُغْضِ مَنْ أَقَامَ اللهُ بِهِمْ صَرْحَ هَذَا الدِّينِ ، وَصَرَّحَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَعَلَى لَعْنِ مَنْ فَضَّلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ ؟ وَنَاهِيكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ تَفْضِيلًا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا

٩- هَؤُلَاءِ الرَّوَافِضِ هم شَرُّ مُبْتَدِعَةِ هَذِهِ الْمِلَّةِ ، وَأَشَدُّهُمْ بَلَاءً عَلَيْهَا ، وَتَفْرِيقًا لِكَلِمَتِهَا ، وَقَدْ سَكَنَتْ رِيَاحُ التَّفْرِيقِ الَّتِي أَثَارَهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْفِرَقِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبَقِيَتْ رِيحُهُمْ عَاصِفَةً وَحْدَهَا ، وَلَوْ كَانُوا يَقِفُونَ عِنْدَ حَدِّ تَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ كَانَ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ مِنْهُ لَهَانَ الْأَمْرُ ، وَأَمْكَنَ

أَنْ يَتَّحِدُوا مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ يَعْذُرُونَهُمْ بِاعْتِقَادِهِمْ هَذَا إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ ضَرَرٌ ، وَيَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ، وَلَا يَتَفَرَّقُوا هَذَا التَّفَرُّقَ وَلَا يَتَعَادُّوا هَذَا التَّعَادِيَ اللَّذَيْنِ أَضْعَفَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، وَمَزَّقَا مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، حَتَّى اسْتَذَلَّ الْأَجَانِبُ أَكْثَرَ أَهْلِهِ ، وَهُمْ لَا يَزَالُونَ يُشْغِلُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّعَادِي عَلَى مَا مَضَى مِنَ التَّنَازُعِ فِي مَسْأَلَةِ الْخِلَافَةِ ، وَيُؤَلِّفُونَ الْكُتُبَ وَالرَّسَائِلَ فِي الْقَدْحِ فِي الصَّحَابَةِ . وَيَالَيْتَهُمْ يَطْلُبُونَ إِعَادَةَ الْخِلَافَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَتَجْدِيدَهَا ؛ لِإِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَإِعَادَةِ مَجْدِ الْإِسْلَامِ وَسِيَادَتِهِ ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّ آلَ عَلِيٍّ أَصَحُّ بُطُونِ قُرَيْشٍ أَنْسَابًا . وَأَكْرَمُهَا أَحْسَابًا ، وَأَنَّ الْخِلَافَةَ فِي قُرَيْشٍ ، فَإِنْ وُجِدَ فِيهِمْ مَنْ تَجْتَمِعُ فِيهِ سَائِرُ شُرُوطِهَا وَيَرْضَاهُ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الْأُمَّةِ فَهُوَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ . كَلَّا إِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ تَجْدِيدَ الْإِسْلَامِ وَإِقَامَتِهِ بِظُهُورِ الْمَهْدِيِّ ، وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَنْتَظِرُونَهُ مَعَهُمْ ، فَلْيَكْتَفُوا بِهَذَا وَيَكُفُّوا عَنْ تَأْلِيفِ الْكُتُبِ فِي الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ، وَبِحَمَلَةِ السُّنَّةِ وَحُفَّاظِهَا الْأَعْلَامِ ، وَإِثَارَةِ الْأَحْقَادِ وَالْأَضْغَانِ ، الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهُمْ مِنْهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ ، إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَى غُلَاتِهِمْ مِنَ الْعَوَامِّ ، طَمَعًا فِي الْجَاهِ الْبَاطِلِ وَالْحُطَامِ ، وَإِنَّمَا فَائِدَتُهَا الْحَقِيقِيَّةُ لِلْأَجَانِبِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ،

فهرس المصادر والمراجع

الألوسي : العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي

١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

البغوي (الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي)

٢ – معالم التنزيل: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك

البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي

٣ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس)

٤ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق: د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٦ ه – ١٩٨٦ ،

ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد)

٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ، دار النشر: مكتبة الخانجي – القاهرة

أبو حيان (محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي)

٦ تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل

خالد محمد خالد

٧ خلفاء الرسول دار المقطم للنشر والتوزيع القاهرة ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م

الذهبي (الدكتور محمد حسين الذهبي)

٨ التفسير والمفسرون طبع ونشر مكتبة وهبة القاهرة

الرازي (فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي)
٩ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى
رشيد (السيد محمد رشيد رضا)
١٠ تفسير القرآن الحكيم المسمي تفسير المنار الهيئة المصرية العامة للكتاب
الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي)
١١ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي
السعدي (عبد الرحمن بن ناصر السعدي)
١٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين
(أبو السعود محمد بن محمد العمادي)
١٣ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت
ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي)
١٤- أحكام القرآن، ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا
(ابن عطية) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي،
١٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي)
١٦ - الجامع لأحكام القرآن ، دار النشر: دار الشعب - القاهرة
ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء)
١٧- البداية والنهاية :مكتبة المعارف - بيروت
١٨ –تفسير القرآن العظيم، ، دار النشر: دار الفكر - بيروت – ١٤٠١
(النسفي) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
١٩ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل دار النشر : دار النفائس - بيروت تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار
٢٠ – موقع التفسير ALTAFSIR : تفاسير الشيعة الاثني عشرية